

مجمع الأمثال

4043 - مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثَرُهُ ؟ .

قَالَ المفضل : أول من قَالَ ذلك الحارث بن ظالم المُرِّيُّ وذلك أن خالد بن جَعْفَر بن كِلَاب لما قتل زُهَيْر بن جَذِيمَةَ الْعَيْسِي ضاقت به الأرض وعلم أن غَطَفَانَ غير تاركيه فخرج حتى أتى النعمان فاستجار به فأجاره ومعه أخوه عُنَيْبَةُ بن جعفر ونهض قيس بن زهير فاستعدَّ لمحاربة بني عامر وهَجَمَ الشتاء فَقَالَ الحارث بن ظالم : يا قيسُ أنتم أعلم وحربكم وأنا راحل إلى خالد حتى أقتله قَالَ قيس : قد أجاره النعمان قَالَ الحارث : لأقتله ولو كان في حِجْرِهِ . وكان النعمان قد ضرب على خالد وأخيه قُبَيْبَةَ وأمرهما بحضور طعامه ومُدَامِهِ فأقبل الحارث ومعه تابع له من بني محارب فأتى بَابَ النعمان فاستأذن فأذن له النعمان وفرح به فدخل الحارث وكان من أحسن الناس وَجْهًا وحديثًا وأعلم الناس بأيام العرب فأقبل النعمان عليه بوجهه وحديثه وبين أيديهم تمر يأكلونه فلما رأى خالد إقبال النعمان على الحارث غَاظَهُ فَقَالَ : يا أبا ليلى ألا تشكرني ؟ قَالَ : فيماذا ؟ قَالَ : قتلتُ زهيرًا فصرتَ بعده سيدَ غطفان وفي يد الحارث تمراتُ فاضطربت يده وجعل يردد ويقول : [ص 307] .

أنت قتلتَه ؟ والتمر يسقط من يده ونظر النعمان إلى ما به من الزَّيْمِ مَعَ فَنَدَخَسَ خَالِدًا بقضيبه وَقَالَ : هذا يقتلك ؟ وافترق القوم وبقي الحارث عند النعمان وأُشْرَجَ خالد قبته عليه وعلى أخيه وناما وانصرف الحارث إلى رحله فلما هَدَاَتِ الْعْيُونَ خرج الحارث بسيفه شاهره حتى أتى قبة خالدٍ فهتَكَ شرجها بسيفه ودخل فرأى خالدًا نائمًا وأخوه إلى جنبه فأيقظ خالدًا فاستوى قائمًا فَقَالَ له الحارث : يا خالد أظننتَ أن دمَ زهيرٍ كان سائغًا لك ؟ وعَلَاَهُ بسيفه حتى قتله وانتبه عتبه فَقَالَ له الحارث : لئن نَدَيْسَتْ لألحقنَّكَ به وانصرف الحارث وركبَ فرسه ومضى على وجهه وخرج عتبه صارخًا حتى أتى بَابَ النعمان فنَادَى : يا سوء جَوَارَاهُ فأجيب : لاروع عليك فقال دخل الحارث على خالد فقتله وأخَذَ فَرَسَ الْمَلِكِ فوجه النعمان فوارس في طلبه فلحقوه سَحَرًا فعطَفَ عليهم فَقَتَلَ منهم جماعة وكثروا عليه فجعل لا يقصد لجماعة إِلَّا فَرَّ قَهَا وَلَا لِفَارِسٍ إِلَّا قَتَلَ وهو يرتجز ويقول : .

أنا أَبُو لَيْلَى وَسَيْفِي الْمَعْلُوبُ ... مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثَرُهُ .
وارتدع القوم عنه وانصرفوا إلى النعمان . يضرب في المحاذرة من شيء قد ابتلى مرة .
قَالَ الْأَغْلَابِيُّ الْعَجَلِي .

قَالَتْ لَهْ فِي بَعْضِ مَا تَسْطَرُّهُ ... مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا
أَثَرُهُ